تاريخ الاستلام: 2023/11/15م تاريخ القبول: 2023/11/25 تاريخ النشر: 2023/12/31م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن كلية التربية بجامعة الزاوية
العدد الثامن والعشرون – ديسمبر/ 2023م

# ردّة المسلمين بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم - مظاهرها ، أسبابها

**خيرية محمد الجربي**
**قسم الدراسات الإسلامية – كلية الشريعة – جامعة الزاوية**
**الزاوية – ليبيا**
**Email: k.aljirbi@zu.edu.ly**

**الملخص:**

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تتناول جانبا هاما من جوانب السيرة النبوية المطهرة ؛ وهو ردة المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ وبالتالي فإن أهدافها هي الآتية:-

الأول : بيان مظاهر الردة في حياته وبعد وفاته ﷺ .

الثاني : أسباب هذه الدراسة لم تتناول دور أبي بكر الصديق في قمع هذه الردة لأن هذا بحاجة إلى بحث مستقل يضيق عنه هذا المقام .

# The apostasy of Muslims after the death of the Messenger - may God bless him and grant him peace - its manifestations and causes

**khayria muhamad aljirbii**
**Department of Islamic Studies - Faculty of Sharia - Zawia University**
**Azzawia -Libya**
**EMAIL: k.aljirbi@zu.edu.ly**

**ABSTRACT**

The importance of this study liesin: In that it deals with an important aspect of the purified prophetic biography; It is the apostasy of the therefore its goals are the following:

The first:Explaining the mainfestations of apostasy during the life of the Messenger and after his death.

Second: The reasons for this apostasy that swept the Arabian peninsula , noting that this study did not address this needs independent research that narrows this topic.

**مقدمة البحث :**

أرسل الله تعالى نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– هدى ورحمة للعالمين، فكانت رسالته هي الخاتمة والناسخة لما سبقها من الرسالات السماوية ، ومكث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يدعو إلى عبادة الله الواحد القهار في مكة ما شاء الله أن يمكث، ونال المؤمنون به من الضعفاء الويل والعذاب من سادة مكة، فلم يثنهم هذا عن ترك دينهم الجديد الذي وجدوا فيه ضالتهم من عدل ومساواة وتكريم للإنسان فلا فرق بين سيد وعبد الكل سواء تحت راية الإسلام .

وقد بلغ من قلوبهم اليقين أن تركوا الأهل والديار، واختاروا الله ورسوله والدار الآخرة، مهاجرين فارين بدينهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً.

وكانت يثرب نواة دولة الإسلام الأولى، شيّد بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مسجده وبيوته، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وجز –صلى الله عليه وسلم– الجيوش ، وأرسل البعوث ، ثم كان فتح مكة، وبذلك تم لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– وللإسلام النصر والتمكين، وهذه سنّة الله في خلقه لمن صبر واحتسب وانتظر من الله الوعد الحق إنه لا يخلف الميعاد .

**مشكلة البحث :**

إن مما يلاحظه الدارس لكتب المغازى والسير وتاريخ صدر الإسلام ما أسماه المؤرخون بحروب الردة، وكيف واجهها الصديق –رضى الله عنه–.

والجدير بالذكر أن بوادر هذه الردة ظهرت في أواخر حياته – صلى الله عليه وسلم–، لكنها بلغت الذروة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

والسؤال هنا : ما هي مظاهر هذه الردة تحديداً؟ وما أسبابها؟ ألم يترسخ الإيمان في قلوب المسلمين؟ حتى يتزعزع بمجرد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم–؟ هل اعتنقوا الإسلام تقليداً واتباعاً؟

ومن هنا يمكن تحديد أهداف هذه الدراسة في الآتي :

1- تحديد معنى الردة وبيان مظاهرها بدءاً بالحركات التي كانت في حياته – صلى الله عليه وسلم- وانتهاءً بالتي كانت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام .

2- الوقوف على الأسباب الحقيقية لظهور حركة الردة وتفشيها في جزيرة العرب .

والملاحظ أن هذه الدراسة لن تتعرض لدور الصديق رضى الله عنه لأن هذا يستحق بحثاً مستقلاً .

علماً بأن المنهج المتبع هو الوصفي التحليلي وكان الرأي أن يكون البحث في المطالب التالية:

**المطلب الأول : الإسلام في مكة قبل الهجرة :**

مكة هي "بلدة تقوم في بطن وادٍ يعرف ببطن مكة، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي دائرة حول الكعبة، وكانت المناطق المنخفضة نسبياً من ساحة مكة تسمى البطحاء"[(1)].

ومن جبال مكة : أبوقبيس، وهو الجبل الأعظم، ويقع إلى الجهة الشرقية من مكة، ويشرف على المسجد الحرام، وجبل قعيقعان، وجبل فاضح، والمحصب، وثور، والحجون، وسقر، وحراء، وثبير، وتفاحة، والمطابخ، والفلق"[(2)].

وبعد الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- مكث يدعو إلى الإسلام في مكة سراً ثلاث سنوات، ثم أمره الله تعالى بإظهار الدعوة بعد أن أصبح معه أنصار مؤمنون وإن كانوا قلة، ونزل قوله تعالى: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94] ، وقوله جل من قائل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214] ؛ فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إلى قومه بدعوهم إلى الإيمان، وبأنه رسول من رب العالمين بألا يعبدوا إلا الله الواحد القهار ويذرون آلهتهم وأوثانهم، فوجد ما وجد منهم، تكذيب وسخرية ، ووصفوه بالجنون، والسحر والشعر والكهانة، ولقي ضعفاء المسلمين ما لقوه من تعذيب سادتهم حتى يردونهم عن هذا الدين الجديد الذي جاء به محمد يسفّه آلتهم، ويقلب موازينهم التي ألفوها .

وقد ازداد أمر قريش في أذيتها للنبي – صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان له نعم السند رَغم بقائه على دين آبائه " فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم- إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، فخرج إليهم وحده"[(3)].

"والطائف مدينة صغيرة قديمة البنيان، تقع قريباً من مكة، على ظهر جبل غزوان من جبال السراة، وبغزوان قبائل هذيل، والطائف محلتان: محلة إلى جانب من وادي وجْ تسكنه ثقيف، والأخرى على الجانب المقابل، ويقال لها الرهط"[4].

خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم– إلى الطائف، يملؤه الرجاء، ولكن لم يكن استقبالهم إياه ينّم عن ترحيب أو تصديق برسالته، بل استهزأوا به، وسلطوا عليه سفاءهم يسبونه حتى لجأ إلى بستان لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبه، وقصته ذلك اليوم مع عداس النصراني معروفة ذكرتها كتب السيرة والتاريخ[5].

يئس رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من إسلام ثقيف وعاد أدراجه إلى مكة ماراً بوادي نخلة على بعد ليلة من مكة، والحقيقة أنه واديان: نخلة الشامية، ونخلة اليمانية، فقام – صلى الله عليه وسلم– يصلي في جوف الليل، يبث همومه وآلآمه إلى الله رب العالمين، فمر به نفر من الجن من قرية نصيبين، فعرض عليهم الإسلام فأسلموا[6] فكان إسلامهم كرامة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– وتطييباً وجبراً لخاطره، فهو مبعوث للإنس والجن، وقد سجل القرآن هذا الموقف الجليل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾ [الجن : 1].

**المطلب الثاني : اتساع مساحة الدعوة .**

عرض رسول الله – صلى الله عليه وسلم– دعوته على قبائل العرب خارج مكة؛ حيث كانت هذه القبائل تفد إليها في المواسم، كما كان عليه الصلاة والسلام يخرج بنفسه إلى كثير من القبائل الأخرى يعرض دعوته كما في خروجه إلى كندة وكلباً وكان يتصف بأخلاق وصفات الداعية، الذي يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولنا أن نتأمل ما ذكره ابن هشام عن خطابه – صلى الله عليه وسلم– لإحدى البطون العربية وهي بني عبدالله ، يقول : "يا بني عبدالله، إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم"، كما أنه أتى بني حنيفة في منازلهم وبني عامر بن صعصعة"[7].

وكان أن عرض – صلى الله عليه وسلم– الإسلام على قبيلة بني عامر في إحدى المواسم، وبدا واضحاً حب هذه القبيلة للإمارة وقد رأت في إسلامها، واتباعها للنبي أن يكون الأمر والسيادة لها من بعده فأبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عليهم هذا الشرط.

قال سيد هذه القبيلة بيجرة بن فراس: والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب، ثم قال له [أي للنبي–صلى الله عليه وسلم–]: أرأيت إن نحن بايعناك على

أمرك، ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ قال : الأمر لله يصنعه حيث يشاء ، قال : أَفَتُهَدَفُ نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا. لا حاجة لنا بأمرك، فأبوا عليه "[8].

واستمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يدعو الناس في مكة ومن جاورها للإسلام إلى أن كانت بيعة العقبة الأولى، ثم تلتها البيعة الثانية مبشرة بإشراق نور الإسلام نحو يثرب.

كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كعادته في المواسم يعرض الدين الذي جاء به على الوافدين إلى مكة "فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً، وكانوا على علم بقرب مبعث النبي الذي استنصر به اليهود، فصدقوه ، وأجابوه للدعوة، ووعدوه بأن يعرضوها على قومهم وقد يكون هو وسيلة الإصلاح وجمع الشمل[9].

قال ابن هشام : "فلما قدموا المدنية إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم–"[10].

**بيعة العقبة الأولى :**

وبعد مرور عام واحد على لقائه – صلى الله عليه وسلم– بالقوم من الخزرج أقبل اثنا عشر رجلاً من المدينة لقوة بالعقبة وكانوا من الأوس والخزرج وبطونهما، وعاهدوه على الإيمان وعدم الشرك وبألا يسرقون ولا يزنون ولا يقتلون أولادهم ولا يأتون ببهتان ولا يعصون الله فإن فعلوا لهم الجنة وإن لم يفعلوا فأمرهم إلى الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء .

وعند رجوعهم إلى المدينة أرسل معهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مصعباً بن عمير[11] يعلمهم القرآن، وآداب الإسلام وأحكامه ، ويفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ، وكان قد نزل على أسعد بن زرارة[12] بن عُدَس أبي أمامة، وكان يصلي بهم لأن الأوس والخروج كره بعضهم أن يؤم بعضهم بعضاً.

وقد أقام أسعد بن زرارة أول جمعة بالمدينة وكان خلفه أربعون رجلاً[13].

**العقبة الثانية :**

عاد مصعب إلى مكة ثم خرج جماعة من الأنصار المسلمين ومعهم بعض أهل الشرك من قومهم إلى الموسم، من بينهم البراء بن معرور الذي صلى في طريقة إلى مكة نحو الكعبة ولا تزال قبلة المسلمين حينئذ بيت المقدس– وكانوا يكتمون أمر إسلامهم .

وكان أن خرجوا مستخفين متسللين حتى وصلوا الشعب عند العقبة وكانوا ثلاثة وسبعون رجلاً، وامرأتان هما : نسيبه بنت كعب[14] أم عمارة، وأسماء بنت عمر بن عدي أم منيع[15].

وجلسوا ينتظرون رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حتى أقبل عليهم مع عمه العباس وهو لايزال على دين آبائه، إلا أنه آثر أن يكون مع ابن أخيه يتوثق من أمر الأنصار، فخطب فيهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ودعا إلى الله، وتلا عليهم آياته، وعرض عليهم البيعة؛ بأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، فأخذ البراء بن معرور[16] بيده وقال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً" ثم بايعه بقية رجال المدينة .

**شروط البيعة في العقبة الأخيرة :**

قال ابن إسحاق: "بايعهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في العقبة الأخيرة على حرب الأحمر والأسود، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة"[17].

ولنا أن نلاحظ عمق إيمانهم بالجنة والدار الآخرة، لم يعدهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بالقلاع الحصينة ولا الأموال الطائلة والقصور ببساتينها الغناء، لم يعدهم بشيء من متاع الدنيا إنما وعدهم بأمر غيبي، جنات عرضها السموات والأرض، هؤلاء هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة من ربهم ورزق كريم .

**الإذن بالقتال والأمر بالهجرة :**

"كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب، ولم تحلل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعوة إلى الله، والصبر على الأذى، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من أتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم، ونفوهم من بلادهم، فهم بين مفتون في دينه، ومن بين معذب في أيديهم، وبين هارب في البلاد فراراً منهم، منهم من بأرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه .....أذن الله عز وجلّ لرسوله – صلى الله عليه وسلم– في القتال والانتصار ممن ظلمهم، وبغي عليهم، فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب، هي قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ [الحج : 39] وبعد الإذن بالقتال، وترحيب الأنصار بدعوة الإسلام، وبيعتهم للنبي المبعوث ، أمر النبي أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فامتثلوا لأمره وفروا أرسالاً أرسالاً، ومكث النبي – صلى الله عليه وسلم– فغي مكة في انتظار الإذن من ربه أن يلحق بالمهاجرين .

وهاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم– بعد أن أذن له ربه سبحانه وتعالى هاجر برفقة أبي بكر الصديق، وبركت ناقته قرب دار بني مالك بن النجار، ونزل بيت أبي أيوب الأنصاري إلى حين استكمال مسجده ومساكنه، وانتشر الإسلام في المدينة فلم "يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، إلا ما كان من خطمة وواقف وأمية، وتلك أوس الله، وهم حيّ من الأوس فإنهم أقاموا على شركهم"[18].

"ولما افتتح رسول الله – صلى الله عليه وسلم– مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من تبوك؛ ضربت إليه وفود العرب من كل وجه وإنما كانت العرب تنتظر بإسلامها قريشاً إذ كانوا إمام الناس، وأهل الحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، لا تنكر العرب ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولا عداوته، فلما فتحت مكة، وأسلمت قريش، عرف العرب أنها لا طاقة لها برسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولا عداوته وخلافه فدخلوا في الدين أفواجاً"[19].

ومكث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في المدينة يعلم المسلمين أمور دينهم ويحكم بما أنزل الله، وكان القائد الفذ والإمام العدل والمربى الحكيم ولقي ما لاقاه من يهود المدينة والمنافقين وأرسل البعوث وهو في كل هذا ترعاه عين الله التي لا تنام، ويسير بهدى القرآن فقد كان قرآناً يمشي على الأرض.

**المطلب الثالث : مظاهر الردة**

**المعنى اللغوي للردة :** هي الرجوع في الطريق ، والتحول عن الشيء إلى غيره، وتعرف أيضاً بأنها ردّ الشيء بذاته، والمرتد هو الراجع .

**أما اصطلاحاً :** فهي قطع المرء إسلامه بنية الكفر، ويكون ذلك بقول أو فعل، أو اعتقاد، أو شك، سواء كان قول الكفر استهزاء أو اعتقاداً أو عناداً ، فالمرتد هو إذاً الراجع عن إسلامه، الكافر به.

ولا تصح الردة باتفاق أهل السنة والجماعة، إلا من عاقل حيث لا تصح ردة المجنون، أو الطفل ، أو من لا عقل له كمن زال عقله لعرض ما ، كنوم، أو مرض، ونحوه"[20].

**أصناف أهل الردة :**

يرى بعض المؤرخين أن أهل الردة على قسمين ، ومنهم من جعلهم على ثلاثة، يقول هاشم عبدالراضي: أن حركة الردة جاءت على ثلاث صور، الأولى منها المتنبئون وهم

الذين ادعوا النبوة، والثانية المرتدون أي الذين تركوا الإسلام، وعادوا لأديان الجاهلية، والثالثة مانعوا الزكاة وهم الذين توقفوا عن دفع الزكاة، وهذه الأسماء وإن كانت مختلفة إلا أنها يجمعها جميعاً هدف واحد وهو التمرد والعداوة للإسلام، ومحاولة القضاء على نفوذه"[21].

**مظاهرها:**

ظهرت بوادرها في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم– متمثلة في إدعاء الأسود العنسي النبوة وهو في اليمن، وقد ذكرت المصادر التاريخية أن أول أمره إلى آخرة من ثلاثة أشهر إلى أربع[22].

وعند وصول أمر العنسي إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– أمر عامله باليمن يأمرهم بقتله، وكان أمر اليمن لباذان الذي أمَّره النبي – صلى الله عليه وسلم– على اليمن كله وعلى جميع مخالفيه حتى وفاته، وبعد ذلك فرق النبي – صلى الله عليه وسلم– الأمراء في اليمن، وكان معاذ بن جبل معلماً ينتقل بين هذه الولايات المتفرقة باليمن وحضرموت يعلم الناس أمور دينهم .

وفي كتب التاريخ والسير تفاصيل قتل الأسود العنسي بمعونة زوجته التي تزوجها قسراً وهي له كارهة بعد أن قتل زوجها شهر بن باذان العامل على صنعاء، وبذلك استطاع الأسود أن يبسط نفوذه على اليمن، وتفرق أمر أمرائها، منهم من عاد إلى المدينة، ومنهم من لحق الطاهر بن أبي هالة أمير عك وهو حينها بجبال عك وجبال صنعاء، وبلغت حدود سطوته مابين حضرموت إلى الطائف، والبحرين والأحساء إلى عدن، واشتهر أمره بسرعة البرق، وعندما تم قتله عاد أمر المسلمين كما كان، وصلى بهم معاذ بن جبل[23].

**ردة طليحة الأسدي :**

هو طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد، "ارتد في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم–، وكان كاهناً، فادعى النبوة ونزل سميراء، وبعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ضرار بن الأزور إلى قتاله مع جماعة"[24].

**ردة مسيلمة وأهل اليمامة :**

مما ذكره الطبري أن مسيلمة كتب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يخبره أنه قد أُشرك معه في النبوة، فعن عبدالله بن أبي بكر قال : كان مسيلمة بن حبيب الكذاب كتب إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله .

سلام عليك، فإني قد أُشرِكت في الأمر معك، وإنا لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريش قوم يعتدون".

وقدم بهذا الكتاب رسولان على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فرد عليهما بقوله : "أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"[25]، ثم كتب إلى مسيلمة "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب . سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين"[26].

أما سجاح مدعية النبوة فهي كما ذكرت المصادر من بني تميم الذين فرق فيهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– عماله، وظهرت فيهم سجاح، وادعت النبوة، وكانت تريد قتال أبي بكر خليفة رسول الله، لكنها رجعت عن ذلك، وتنقلت في جنوب الجزيرة، وقصدت بني حنيفة، فخاف مسيلمة فأمنها على نفسه وقدم عليها في أربعين من قومه، وقابلها، وذكر عندها بعض أكاذيب وحيه، وعرض عليها الزواج، وقال لها : سآكل بقومي وقومك العرب، ووافقت على الزواج به، وأقامت عنده ثلاث ليالٍ، ثم انصرفت إلى قومها، واستقرت في تغلب، وقيل أن معاويه نقلها هي وقومها عام المجاعة إلى البصرة؛ ذلك بعد أن أسلمت، وحسن إسلامها حتى ماتت بالبصرة، وتقول بعض المصادر أنها لما قتل مسيلمة سارت إلى أخوالها تغلب فماتت عندهم، ولم يسمع لها بذكر[27].

**تفشى حركة الردة بعد وفاته – صلى الله عليه وسلم– :**

بعد أن سير أبوبكر الصديق جيش أسامة "ارتدت العرب، وتضرمت الأرض ناراً، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة، إلا قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمر مسيلمة وطليحة، واجتمع طليحة عوام طيء وأوس، وارتدت غطفان تبعاً لعيينة بن حصن فإنه قال : نبي من الحليفين [يعني أسداً وغطفان] أحب إلينا من نبي من قريش، وقد مات محمد وطليحة حيّ ، فاتبعه وتبعته غطفان .

وقدمت رسل النبي من اليمامة وأسد وغيرهما، وقد مات، فدفعوا كتبهم لأبي بكر وأخبروه الخبر عن مسليمة، وطليحة، فقال : لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم، وغيرهم بأدهى مما وصفتم، فكان كذلك، وقدمت كتب أمراء النبي – صلى الله عليه وسلم– من كل مكان بانتقاض العرب عامة وخاصة، وتسلطهم على المسلمين فحاربهم أبوبكر بما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يحاربهم بالرسل، فرد رسلهم بأمره، واتبع رسلهم رسلاً، وانتظر بمصادقتهم قدوم أسامة"[28].

**المطلب الرابع : أسباب الردة.**

يمكن تحديد الأسباب التي أدت إلى ظهور الردة واستفحالها بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم– في الأسباب أو العوامل التالية:

**أولاً– العصبية القبلية:**

"حارب الإسلام العصبية، ودعا لتكوين أسرة واحدة، هي أسرة الإسلام، ولكن العصبية كانت تتجدد من حين لآخر ... وكان كثيرون من العرب يرون في الإسلام وسيلة فرضت عليهم سلطان قريش ... فظهر في كثير من القبائل من ادعى النبوة وأيده قومه باسم العصبية مع أنه كان واضحاً لهم كذبه وبهتانه"[29]، كما في اتباع العرب لطليحة الأسدي الذي بلغت به الجراءة على الله ورسوله أن يدعي النبوة في حياة النبي – صلى الله عليه وسلم– وكان أن النبي بلغه أمره فأمر بقتاله وأرسل إليه ضرار بن الأزور عاملاً على بني أسد؛ فضعف أمر طليحة ولم يبق إلا أن يقتل، ولكن حين ضربه ضرار لم يؤثر فيه السيف شيئاً، فقوى أمره، وكأن ما حدث هو معجزة، وكثر مؤيدوه، وبعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم– اشتد أمره، وكان مما فعله أنه ألغى السجود من الصلاة وقال : أذكروا الله أعفةً قياماً.

وطليحة هذا اتبعته كثير من قبائل العرب عصبية ليس إلا، يظهر ذلك في أن أكثر أتباعه من قبائل أسد وغطفان، وطيء وكان هؤلاء المرتدين يبذلون الصلاة، ويمنعون الزكاة، فقال أبوبكر : "والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه"[30].

**ثانياً– اعتناق بعض القبائل الإسلام تقليداً وتبعية واختيارها السلام مع العرب.**

يقول أحمد شلبي : "أن كثيراً ممن دخلوا الإسلام آنذاك لم يدخلوه عن اقتناع تام، فمنهم من دخله مع الداخلين دون دراسة، ودون إيمان، ومنهم من رأى الحروب ولم يفهم أنها دفاعية، فدخل الإسلام تجنباً لخوض الحروب ضد المسلمين، ومنهم من دخل الإسلام طمعاً في مغنم أو جاه، فلما توفي الرسول – صلى الله عليه وسلم– أبرز هؤلاء ما كانوا يخفون، وضعاف الإيمان هؤلاء كانوا يظهرون عدم ولائهم للإسلام كلما سنحت لهم فرصة، كما فعل المنافقون بعد غزوة بني المصطلق، وفي مطلع غزوة تبوك، وكالأعراب الذين وصف القرآن إيمانهم في قوله تعالى: ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : 14] ولكن وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم– كانت أعظم فرصة لهؤلاء ليظهروا ما أخفوا ، وليعلنوا ارتدادهم".

وإضافة لما السبق يمكن القول أن أظهر مثال على ذلك يتضح في قدوم أهل الطائف على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في شهر رمضان بعد مقتل عروة بن مسعود الثقفي الذي قدم على رسول الله وأشهر إسلامه، فقد قال الطبري أن : "رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حين انصرف عن أهل الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتب" حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "إنهم قاتلوك"، وعرف رسول الله أن فيهم نخوة بالامتناع الذي كان منهم فقال له عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم، وكان فيهم كذلك محبباً، مطاعاً، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام، ورجا ألا يخالفوه لمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله"[31].

وذكر الطبري أنه طلب قبل موته أن يدفن مع الشهداء فكان له ذلك . وبعد مقتله بأشهر تشاورت ثقيف، ورأت أنه لا طاقة لها بقتال من حولهم من قبائل العرب التي أشهرت إسلامها، وأظهرت ولاءها ، وطاعتها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– فكان لابد لثقيف أن تسلم إسوة وتقليداً لبقية القبائل، وتجنباً لخوضها حرباً لا طاقة لها بها، فيذكر ابن جرير ما دار بين عمرو بن أمية سيد ثقيف، وكان من أدهى العرب ، وبين عبد ياليل بن عمرو، قال عمرو: إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما رأيت، وقد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة فانظروا في أمركم"[32].

ثم اتفقوا أن يذهبوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ويعلنوا إسلامهم، واستقبلهم رسول الله في المسجد، واكتتبوا كتاباً بينه وبينهم، وكان مما اشترطوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يدع الطاغية ، وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، وفي هذا دليل على أن الإيمان لم يتيقن في قلوبهم، إنما هو تبعية وتقليداً، وإلا فكيف يجتمع الإيمان بالله مع تعظيم وإشراك اللات؟ وقد أبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ذلك ، فسألوه زمناً أقل من ثلاث سنوات ، حتى سألوه أن يدعها شهراً واحداً بعد مقدمهم إليه فرفض بشدة، وقد احتجوا بأن هدمها يروع القوم، كما سألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يعفيهم من الصلاة، فأعفاهم رسول الله أن يكسروا أصنامهم بأيديهم، أما فيما يخص الصلاة فقال لهم : لا خير في دين لا صلاة فيه، فأسلموا، وكتب عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– كتابهم، وأمرَّ عليهم عثمان بن أبي العاص[33].

ومما يؤكد أن اعتناقهم الإسلام لم يكن إلا تقليداً؛ أنهم عندما رجعوا إلى قومهم، وقام المغيرة بن شعبة يهدم اللات بالمعول، بينما يحرضه بنو قومه بنو المعتب خيفة أن يُرمَى أو يُصاب كما أصيب عروة، وقد خرجت نساء ثقيف يلطمن ، ويبكين ، ويرثينها بالشعر[34].

**ثالثاً– الحنين إلى نظام القبيلة والرغبة في خلع سلطان المدينة:**

يقول السيد عبدالعزيز سالم في كتابه تاريخ الدولة العربية: أن "نظام الخلافة يدعم نفوذ قريش، ويجعل سلطان المدينة وراثياً، فحنوا إلى النظام القبلي القديم القائم على الحرية والاستقلال في نطاق القبيلة، وقام عدد من قبائل العرب في مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية بخلع سلطان المدينة، وطرد عمال الصدقات؛ مستهدفين من وراء ذلك التخلص من الزكاة التي اعتبروها إتاوة تحد من استقلالهم ، والاكتفاء من الإسلام بالصلاة"[35].

يبدو هذا الرأي على جانب كبير من الصواب إلا أن السبب الحقيقي وراء هذه النزعات هو ضعف الإيمان في قلوبهم، لأن أساس الدين بعد توحيد الله هو طاعة الله ورسوله، واستمرار هذه الطاعة، وإقامة أركان الإسلام والتخلق بأخلاقه، فهشاشة الدين في نفوسهم كانت بسبب تأخر إسلام أغلب القبائل العربية، لأن "الواقع أن هناك أعداداً ضخمة من العرب دخلوا في الإسلام في العامين الأخيرين من حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم– فيما عُرف في التاريخ بالوفود، ولم يدخل هؤلاء في الإسلام إلا انبهاراً بسيطرة المسلمين على الجزيرة العربية ، فجاء الناس أفواجاً يدخلون في دين الله، ولكن ليس كلهم عن اقتناع ، فمنهم من جاء رغباً في المال، والغنائم، والارتباط بالقوة الأولى الجديدة في الجزيرة، ومنهم من جاء رهِباً من قوة المسلمين، ومنهم من جاء لا رغباً ولا رهباً، ولكن اتباعاً لزعمائهم وقادتهم؛ فساقهم زعماؤهم كالقطيع، فدخلوا في دين لا يعرفون حدوده، ولا فروضه، ولا تكاليفه، ولم يفقهوا حقيقة الرسول، وحقيقة الرسالة، ولم يعيشوا مع القرآن ولا مع السنة، فلما مات الرسول– صلى الله عليه وسلم– اعتقد الجميع أن الدولة الإسلامية أنهارت بموت من أسسها، كما تنهار الكثير من الأعمال المعتمدة على شخص بعينه إذا غاب هذا الشخص"[36].

ويضيف راغب السرخاني أنه لم تكن المشكلة فقط في عوام الأعراب "ولكن كانت أيضاً في زعمائهم، فالقبائل العربية ما تعودت مطلقاً على القيادة الجماعية، بل كان كل زعيم قبيلة زعيماً في مكانه وقبيلته، يأمر فيطاع، ويشير فلا رادّ لكلمته، وفجأة ضاعت زعامتهم،

وذابت في الدولة الإسلامية، ولم يقبل غالبهم بذلك فلما مات الرسول – صلى الله عليه وسلم– بحث كل منهم عن زعامته المفقودة، وباعت الأعراب كل شيء في سبيل القبيلة"[37].

وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم– :

جاء في كتاب "تاريخ العرب": "كان المسلمون قد ربطوا بين شخص محمد – صلى الله عليه وسلم– وبين ما حققه للعرب من مكاسب دينيه ، واجتماعية، وسياسية، ونظم المجتمع العربي على نحو يتناسب وطباع العرب، وبالإضافة إلى هذا التغيير الجذري الذي طرأ على العرب في جميع مناحي حياتهم، كانت قوة شخصية الرسول – صلى الله عليه وسلم– وإيمانه العميق برسالته، وجرأته في سبيل الحق، والدين من عوامل افتتان المسلمين بشخصه. فلما توفي أحدثت وفاته اضطراباً عنيفاً لا حدود له في نفوس المسلمين"[38].

والذى ينوه إليه صاحب القول السابق أن المسلمين أصابتهم صدمة عنيفة بموت الرسول – صلى الله عليه وسلم–، لأنه كان يمثل لهم الصورة الكاملة للمسلم، لقد كان قرآناً يمشي على الأرض، كان يمدهم بالقوة المعنوية، فهو الإمام العادل، والقائد المحنك والمربي الرحيم، ولم تكن فقط قوة شخصيته وإيمانه العميق بالرسالة هي عوامل افتتان المسلمين به؛ إنما شمائله، وحسن خلقه، نظافته، وجماله، وتواضعه ورحمته بالمؤمنين هي التي جعلت المسلمين يحبونه ويوقرونه ويتبركون بعرقه ومخاطه، ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : 128] .

فحريّ بمن تجتمع فيه صفات الكمال البشري أن يقتحم القلوب، ويأسرها، وتصيبها الصدمة بفقده، ويمكن إضافة سبباً آخر يتعلق بموت رسول الله – صلى الله عليه وسلم–وهو حاجة الإنسان الفطرية إلى الرمز أو القدوة، وكلما كان هذا الرمز قوياً كان مصدر قوتهم ، فإذا غاب ضعفوا وكان الفراغ الذي يتركه كبيراً يصعب سده، فهذه الأسباب جميعها تداخلت في جعل أغلب القبائل العربية ترتد بعد وفاته – صلى الله عليه وسلم– ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فقد تعهد بحفظ هذا الدين بحفظه للقرآن فيهيء له من يذوذ عنه، ومن يقف لهؤلاء المرتدين وقفة المؤمن الغيور الحافظ لحدود الله إنه أبوبكر الصديق رضى الله عنه خليفة رسول الله، حارب المرتدين وأعاد الأمن والاستقرار وثبت الإيمان في النفوس وأخمد حركة الردة التي أشبهت النار في الهشيم انتشاراً في جزيرة العرب.

**هوامش البحث :**

(1) تاريخ العرب في الجاهلية، السيد عبدالعزيز سالم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ن، د.ت، ص349.

(2) المصدر نفسه، ص350. راجع أيضاً: تاريخ العرب، فيليب حتى وآخرون، دار الكشاف للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009م، ص150.

(3) السيرة النبوية، ابن هشام، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، ص60.

(4) تاريخ العرب في الجاهلية، ص373.

(5) سيرة ابن هشام، ج4، ص60.

(6) المصدر نفسه، ج4، ص61 بتصرف .

(7) المصدر نفسه، ج4، ص65، 66.

(8) المصدر نفسه، ص70.

(9) المصدر نفسه، ص نفسها .

(10) المصدر نفسه، ص72، 73.

(11) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف البدري، كان أعطر أهل مكة ولد في النعمة وعاش مترفاً ، من المسلمين السابقين إلى الإسلام وأنكرت عليه أمه إسلامه فحبسته وعندما رأت إصراره أخرجته وحرمته من الأموال، وهو أول سفير في الإسلام أختاره رسول الله ليكون سفيره إلى المدينة يفقه الأنصار ويعدّ المدينة ليوم الهجرة، حمل الراية في غزوة أحد وقطعت يداه اليمنى فاليسرى فضم اللواء إلى صدره بعضديه ثم أصابه رمح نافذ فسقط شهيداً .*

* https://m.marefa.org – المعرفة – 2007-1-1م

(12) أسعد بن زرارة ، نقيب بني النجار أبو أمامة الأنصاري الخزرجي من كبراء الصحابة، توفي شهيداً بالذبحة فلم يجعل رسول الله بعده نقيباً وقال أنا نقيبكم وكانوا يفخرون بذلك قيل إنه مات في السنة الأولى للهجرة .*

* إسلام ويب ، المكتبة الإسلامية ، سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، ج2، د.ت، د.ط، ص270.

(13) سيرة ابن هشام، ج4، ص73.

(14) نسيبة بنت كعب، أم عمارة الأنصارية الخزرجية النجارية، شهدت العقبة وأحداً والحديبية ويوم حنين واليمامة وجاهدت وقطعت يدها وجرحت اثنى عشر جرحاً . *

* إسلام ويب، سير أعلام النبلاء، ج2، ص278.

(15) أم منيع ، أسماء بنت عمر ومما أخرجه الواقدي أن أم عمارة قالت: كان الرجال تصفق على يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ليلة بيعة العقبة والعباس أخذ بيده، فلما بقيت أنا وأم منيع نادى زوجي غزية بن عمرو : يا رسول الله، هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك ، قال : قد بايعتكما ، إني لا أصافح النساء. *

* الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، تحقيق: خير سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص545.

(16) البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان ، أحد النقباء ليلة العقبة وهو ابن عمة سعد بن معاذ، كان فاضلاً تقياً مات في صفر قبل قدوم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى المدنية بشهر .*

* إسلام ويب showalam,https://www.islamweb.net سير أعلام النبلاء ، ج1، ص267.

(17) سيرة ابن هشام، ج2، ص97.

(18) المصدر نفسه، ص146.

(19) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير، ج2، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص151.

(20) مصطلحات إسلامية ، محمد مروان mawdoo3.com 6 ديسمبر 2021م.

(21) قضايا ومواقف من تاريخ الراشدين، هاشم عبدالراضي، دار النصر، القاهرة، 1999م، ص192.

(22) الكامل في التاريخ ، ج2، ص194.

(23) المصدر نفسه، ج2، ص194، 195 بتصرف .

(24) تاريخ ابن خلدون، تحقيق : خالد سعد، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010م، ص434.

(25) صحيح ، رواه أبوداوود برقم 2761، والبيهقي في السنن الكبرى [211/9].
(26) تاريخ الطبري، ج2، ص241، تاريخ ابن خلدون، مج2، ص437.
(27) الكامل في التاريخ ، ج2، ص198–231 بتصرف .
(28) المصدر نفسه، ج2، ص198، 199.
(29) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط6، 1982م، ص577.
(30) الكامل في التاريخ، ج2، ص199.
(31) تاريخ الطبري ، ج2، ص212.
(32) المصدر نفسه ، ص214.
(33) المصدر نفسه، ص نفسها .
(34) تاريخ الطبري، ج2، ص214.
(35) دار النهضة العربية، د.ت، د.ط، ص334.
(36) مقال بعنوان : قصة الردة www.islamstory.com إشراف : راغب السرجابي.
(37) المصدر نفسه .
(38) تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية، ص434.